Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«فى رحلاته عين صافية تصوّر لك أهم ما تقع عليه من أمور فى أدق ألوانها وظلالها. وهو إلى ذلك فكر ثاقب يجيد تنظيم ما تصوره عيناه، وتنسقه وتعرضه فى إطارات تتناسب ومعانيه وألوانه. وهو يستعين فى كل ذلك بما أوتيه من شعور الشاعر وذوق الفنان واتزان الناقد وسخرية الساخر، فلا يهزل فى مكان الجدّ، ولا يجدّ حيث لا ينفع إلا الهزل. لذلك ترافقه فى إمعان فلا ينكر لك فكر أو عصب، ولا تملّ لك عين أو أذن ولا يتسرّب إلى قلبك أى اشمئزاز أو سأم، بل على العكس تنتقل من متعة إلى متعة، ومن وليمة إلى وليمة، كل ذلك وأنت جالس فى كرسيك أو مستلق على سريرك ولا تنسف الريح فى وجهك الرمال ولا تشويك شمس الدهناء ولا تجرح يديك أو رجليك صخور وادى الجماجم أو أشواك جبل الأزر».

يعقد الباحثون عادة مقارنات مختلفة بين الريحانى وصحبه من أدباء المهجر، وبخاصة جبران ونعيمة. فيرى هؤلاء أن الريحانى قد سبق جبران ونعيمة بمرحلته الأدبية وبالفكرة الرئيسية لبعض كتب هذين الكاتبين. كما يرون أن الريحانى غُمط حقه بعض الشىء أمام هذين الكاتبين اللذين وهب لهما حظ فى الشهرة ربما تجاوز حظه لأسباب مختلفة منها أن الباحثين اللبنانيين، وبخاصة المسيحيين منهم، بدلاً من أن يهتموا به اهتمامًا متساويًا على الأقل لاهتمامهم برفيقيه المهجريين، أهملوه عن عمد، ولذلك سبب. فالريحانى كان كما رأينا عروبيًا عاملاً من أجل الوحدة أو التوحيد، غير مكتف بلبنان كوطن نهائى لأبنائه، محارب شديد البأس لسلطة الإكليروس المتحالف مع الأجنبى ومع الإقطاع الداخلى. ومع أن جبران لديه أشياء كثيرة من هذه الخصائص الريحانية، إلا أن المسيحيين اللبنانيين عادوا وغفروا له كل ذلك مركزين على جانبه «اللبنانى» و«الأدبى» دون سواه. ولكن السنوات الأخيرة شهدت اهتمامًا متزايداً بالريحانى من قبل الباحثين، سواء فى الولايات المتحدة الأميركية من قبل المستشرقين والأكاديميين العرب فيها، أو فى لبنان والبلاد العربية بصورة عامة وبذلك يستعيد الريحانى بعضًا من حقوقه المهضومة.